﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾ [البقرة: 15]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـلـه نـاصـر المـؤمـنـين، ومـجـازي المـنـافـقين على استهزائهم

لـمَّا كان فِعلُ المُنَافِقِين صادرًا عَنِ احتقارِهم لِلْمُؤْمِنِينَ، وكان قِيلُهم لِشياطِينِهم صادرًا عن اسْتِخْفَافِهم بالمؤمنين، جَاءَ قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾؛ لإتمام العَدْلِ، وبيانِ الحقِّ، وانتصارًا لأهل التَّوحيد، إشعارًا بأنّ نصرَ المؤمنين قَد تكَفَّل به مَوْلَاهُمُ الحقُّ، فَنَاسَبَ أن يكون الرَّدُّ على قِيل المنافقين صادرًا عن نَاصِرِهم ﷻ، وفي هذهِ المُنَاسَبَةِ مِنَ الجلَال والإكرام ما لَا يَخْفَى.

قال الشّيخ محمد الطّاهر بن عاشور في بيان وجه المناسبة: "لَمْ تُعْطَفْ هاتِهِ الجُمْلَةُ عَلى ما قَبْلَها لِأَنَّها جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنافًا بَيانِيًّا جَوابًا لِسُؤالٍ مُقَدَّرٍ؛ وذَلِكَ أنَّ السّامِعَ لِحِكايَةِ قَوْلِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ: آمَنّا، وقَوْلِهِمْ لِشَياطِينِهِمْ: إنّا مَعَكم إلَخْ. يَقُولُ: لَقَدْ راجَتْ حِيلَتُهم عَلى المُسْلِمِينَ الغافِلِينَ عَنْ كَيْدِهِمْ، وهَلْ يَتَفَطَّنُ مُتَفَطِّنٌ في المُسْلِمِينَ لِأحْوالِهِمْ فَيُجازِيهِمْ عَلى اسْتِهْزائِهِمْ، أوْ هَلْ يَرُدُّ لَهم ما رامُوا مِنَ المُسْلِمِينَ، ومَنِ الَّذِي يَتَوَلّى مُقابَلَةَ صُنْعِهِمْ؟ فَكانَ لِلِاسْتِئْنافِ بِقَوْلِهِ ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ غايَةُ الفَخامَةِ والجَزالَةِ"[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾: المِيمُ والدَّالان: تَدُلُّ "عَلَى جَرِّ شَيْءٍ في طُولٍ، وَاتِّصَالِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ في اسْتِطَالَةٍ"[2]، والمَدُّ: الجَذْبُ والمَطْلُ والإمهال والزيادة[3]، وَمِنْهُ قولُه تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ أي: يُمْهِلُهم، أو يزيدُهُم[4].

والفِعْلُ مِمَّا سَبَقَ: ثلاثيٌّ مضعَّف؛ وَهُوَ مدَّ، وتُزاد عَلَيْهِ هَمزةٌ في أوَّله فيُقال: أَمَدَّ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/293.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مد).
(3) ابن سِيده، المُحْكَمُ والمحيط الأعظم: (مدد)، والزَّبيدي، تاج العروس: (مدد).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 1/307، والزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/91.

والغالبُ أَنَّ المجرَّدَ في الاستعمالِ القرآنيِّ لِلشَّرِّ، والمَزِيدَ بالهمزةِ لِلْخَيْرِ[1]، فالمجرّد كما في الآية ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، والمزيد كما في الآية ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عمران: 124].

2) ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾: الطَّاء والغَيْنُ والحرف المُعْتَلُّ: تدلُّ على مَجَاوَزة الحدِّ في العصيانِ[2].

والطُّغْيَانُ: الاعْتداءُ في حُدُودِ الأَشْياءِ ومَقاديرِها[3]، فكلُّ شَيْءٍ زادَ وتَمَادى؛ فقد طغَى[4].

ويَرِدُ الطُّغْيانُ في القرآنِ الكَريم على معانٍ أربعةٍ، وهي: الضَّلَالُ، والعِصْيَانُ، والارْتِفَاعُ والكَثْرَةُ، والظُّلْمُ، ولِكُلِّ واحدٍ من هذه المعاني شواهدُ[5].

3) ﴿يَعْمَهُونَ﴾: العَيْنُ والميمُ والهَاءُ تَدُلُّ تَصَارِيفُها على حَيرةٍ وقلَّةِ اهتداءٍ[6]، يقال: عَمِهَ يَعْمَهُ عَمَهًا وعُمُوهًا؛ إذا تردَّدَ متحيِّرًا[7]، ويقال: عَمِهَ فلانٌ في أمره؛ إذَا تحيَّر فيه، وعَمِهَ الرَّجُلُ؛ إذا جارَ عَنِ الحقِّ[8].

ولَمْ يَرِدْ في القُرآن سِوَى الفعلِ المُضَارِعِ مِن هذه المادَّة (يَعْمَهُونَ)، وذلكَ في سَبْعَةِ مواضِعَ، و"العمَهُ فيها: ضلالٌ وطُغيانٌ، وغَفْلَةُ سُكرٍ وعَمَى بصيرةٍ، كأنَّه قريبٌ مِنَ العَمَى"[9].

ومعنى: ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتخبَّطون ويترددون مُتَحيِّرين.

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

**من استهزاء الله بالمنافقين إمهالهم وتزيين الباطل في أعينهم**

اللهُ يَسْتَهْزِئُ بالمنافقين في الدُّنْيَا والآخرةِ في مقابلة اسْتِهْزَائِهم بعبادِه المُؤْمِنين؛ أمَّا في الدُّنيا فيُزيِّنُ لَهُم ما هم فِيهِ مِنَ الباطلِ فيظنُّون أَنَّفسهم معَ أهل الإيمان، وأمَّا في الآخرةِ فَيُعْطِيهُمُ اللهُ نُورًا مع المؤمنين ثُمَّ يَنْطَفِئُ نُورُهم ويَبْقَوْنَ في ظُلمةٍ بَعْدَ نُورٍ، ومِن

(1) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 9/557.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طغى).
(3) الزَّبيديّ، تاج العروس: (طغى).
(4) الهرويّ، الغريبين في القرآن والحديث: 4/1172.
(5) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النَّواظر، ص: 415-414.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عمه).
(7) نشوان الحِميريّ، شمس العلوم: (عمه).
(8) الأنباريّ، الزّاهر: 2/37.
(9) بنت الشاطئ، الإعجاز البيانّي، ص: 581-580.

اسْتِهْزَاءِ اللهِ تعالى بِهِمْ: أَنَّهُ يُمْهِلُهُم في فجُورِهِم وكُفْرِهم وضَلَالِهم ويَزِيدُهُم فِيهِ؛ ليظَلُّوا حَائِرِينَ مُتَرَدِّدين[1].

## ❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

### الِاسْتِئْنَافُ الْبَيَانِيُّ لِبَيَانِ انْتِقَامِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْمُنَافِقِين:

اسْـتِـهْـزَاءُ اللهِ بالـمُنَافِقِينَ أبلغُ مِن اسْتِهْزَائِهِم بالمُؤْمِنِين

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عمَّا قبلُ؛ لأنَّه اسْتِئْنَافٌ بيانيٌّ؛ فقولُ اللهِ سبحانه: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ يَبْعَثُ في النَّفسِ سُؤَالًا؛ وهو: قَدِ اسْتَهْزَأَ هَؤُلَاءِ الـمُنَافِقُون بالـمُؤْمِنِين، فَهَلِ انْتَقَمَ اللهُ مِنْهُم، وبِمَ؟ فجاءَ الجَوَابُ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.

وجاءَ هذا الِاسْتِئْنَافُ في غايةِ الْفَخَامَة؛ حيثُ أَوْمأَ إلى أنَّ استهزاءَ اللهِ بالمنافقين أبلغُ مِن اسْتِهْزَائِهِم بالـمُؤْمِنِين، بَلْ لَا نِسْبَةَ بَيْنَهُما[2].

### التَّعْبِيرُ بِالْفِعْلِ ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾ دُونَ الاسمِ (مُسْتَهْزِئٌ):

شِـدَّةُ الـعَـذَابِ الْمُتَجَدِّدِ علَى أَهْلِ الـنِّـفَاقِ بتجدُّدِ الاستهزاءِ بِهِم

جاء التَّعْبِيرُ في قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ بالفعلِ الْمُضَارِعِ، ولَمْ يَرِدْ بِالاسْمِ (مُسْتَهْزِئٌ بِهِمْ) لِيُطَابِقَ قولَهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾؛ وذلكَ لِإِفَادَةِ تَجَدُّدِ استهزاءِ اللهِ بِهِمْ حَالًا بعد حالٍ[3]، فالتَّجدُّدُ الذي أفادَهُ الفعلُ هَهُنَا هو التَّجَدُّدُ الاسْتِمْرَارِيّ.

وهذا لا يُفِيدُهُ لو وَقَعَ التَّعبير بالاسْم (مُسْتَهْزِئٌ بِهِمْ)؛ لأنَّه يدلُّ على دوامِ الاسْتِهْزَاءِ، ولو دامَ عَلَيْهِمْ لرُبَّما توطَّنت نُفُوسُهم عَلَيْهِ فَتَأْلَفُهُ وتَتَدَرَّبُ عَلَيْهِ، بخلاف التَّجَدُّدِ الاسْتمراريّ؛ فإنَّه يَرْتَفِعُ في

(1) ابن جرير، جامع البيان: 1/301-307، وابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: 1/46-48، والثَّعالبي، الجواهر الحسان: 1/190-191، والقاسميّ، محاسن التَّأويل: 1/253-254، والسَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 43، وجماعة من علماء التّفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 3.

(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/67.

(3) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/67، والسُّيوطيّ، نواهد الأبكار: 1/409، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/294.

بعض الأوقاتِ، وإذا ارتفَعَ عَنْهُمْ؛ رَجَوْا انْقِطَاعَهُ بالكلِّيَّةِ، فإذا عاد إِلَيْهِمْ مرَّةً أخرى؛ كان ذلك أوقعَ على قُلُوبِهم وأشدَّ[1].

### تَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى الْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ لِقَصْدِ التَّأْكِيدِ وَالْقَصْرِ:

تقديم لفظ الجلالة يشير إلى أنَّ الله هو الذي يتولّى الانتقام من المنافقين

أُورِدَ المسندُ إِلَيْهِ عَلَمًا في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾؛ لاسْتِحْضَارِه في ذهن السَّامع ابتداءً باسم يختصُّ به؛ تنبيهًا إلى أنَّ اللّٰه تعالى هو الذي يتولَّى الاسْتِهزاءَ بِهِمُ انتقامًا لعبادِهِ المؤمنينَ، وأنَّه لا يُحْوِجُ المؤمنينَ لِمُعَارَضة المنافقين باسْتِهْزاءٍ مِثْلِه[2].

وقُدِّمَ الاسمُ الأحسَنُ ﴿ٱللَّه﴾ على الخبرِ الفعليِّ لفَائِدَتَيْن[3]:

إحداهما: تَقْوِيةُ الحكم؛ لِمَا فيه من تَكْرَارِ إسنادِ الفعلِ إِلَى فَاعِلِه، وَوَجْهُهُ: أنَّ الاسمَ الْأَحْسَنَ ﴿ٱللَّه﴾ مُسند إِلَيْهِ، و﴿يَسْتَهْزِئُ﴾ مسندٌ، وهذا الإسنادُ الأوَّلُ، والإسنادُ الثَّاني في إسناد الفعل ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾ إلى الضَّمير الْمُسْتَتِرِ (هُوَ) الرَّاجِعِ إلى اللّٰه تعالى.

والأخرى: أنَّ فيه إفادةَ قصرِ المسند على المُسْنَدِ إِلَيْهِ؛ أي: قَصْرِ الاستهزاءِ على اللّٰه تعالى؛ بمعنى أنَّ اللّٰه ﷻ هو مَنْ يتولّاه انتقامًا مِنَ المنافقين، دون أن يُحْوِجَ المؤمنين إلى ذَلِك.

### سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْمُسَبَّبِ عَنِ السَّبَبِ:

امتلاءُ حَياةِ الْمُنَافِقِينَ بالطُّغْيَانِ والعَمَهِ

علَى القَوْلِ بأنَّ المَدَّ بمعنى الزِّيادةِ في قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾؛ فيَحْتَمِلُ أَن يكُونَ المعنى: يَزِيدُ مُدَّةَ حياتهم[4]، فتكونُ الآيةُ مِنْ بابِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ، علاقتُهُ المُسَبَّبِيَّةُ؛ فالزِّيادةُ في حياتِهِمْ، سببٌ لزيادتهم في الطُّغيانِ.

ونُكتةُ المجازِ ههنا: المبالغةُ في وصف طُغْيَانِهم، حتَّى كأَنْ ليس

(1) الطِّيبي، فتوح الغيب: 2/207، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/57.
(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/67.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/293.
(4) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/138.

لَهُمْ عملٌ في الحياةِ إلَّا الطُّغيانُ، بحيثُ إذَا ازْدَادَتْ حياتُهُم؛ ازدادَ طُغيانُهُمْ ضَرورةً.

المُنَافِقُونَ أَعْظَمُ طُغْيَانًا من المُشركين؛ فَنَاسَبَ أَنْ تَكُونَ عُقُوبَتُهُمْ أَشَدَّ

### تَوْجِيهُ المُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ (يَمُدُّهُمْ) وَ(يَذَرُهُمْ):

قال اللهُ تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وقالَ في سُورةِ الأعراف: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: 186]؛ والاختلافُ تَابِعٌ لِمُنَاسَبَةِ كلٍّ لِسياقِهِ الواردِ فيهِ.

فآيةُ البقرةِ سَبَقها بيانُ شدَّةِ إعراضِ المُنَافِقين عَنِ الإيمان، ولمَّا جرت سُنَّةُ اللهِ تعالَى فيمَن ضلَّ إعراضًا ورغبةً عَنِ الإيمانِ بَعْدَ عِلْمه بحقيقته أَنْ يزيدَهُ ضلالًا؛ ناسَبَ ذَلِكَ أَنْ يَذْكُرَ المَدَّ -ومِنْ معانيهِ: الزِّيادةُ- في قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وأمَّا آيةُ الأعراف؛ فهيَ في سِياق ذِكْرِ المُشْرِكينَ الذين اسْتَدْرَجَهُمُ اللهُ سبحانَهُ وأَمْلَى لَهُمْ -﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: 182-183] - حَتَّى بلَغُوا بانْحِرَافِهم أقصى درجاتِ الطُّغْيَانِ، فناسبَ ذلكَ تركَهم على الحالِ التي هُمْ عَلَيْهَا، فَقَالَ: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف: 186][1].

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقال: إنَّ الكلامَ في آية البقرةِ عَنِ المُنَافِقين، وفي آيةِ الْأَعْرَافِ عَنِ المُشْرِكينَ، ولمَّا كان المنافقون أعظمَ طُغيانًا - ولِذَا جعلهم اللهُ تعالى في الدَّرْكِ الأسفل مِنَ النَّار - ؛ ناسبَ أَنْ تَكُون عقوبَتُهُمْ أشدَّ، وزِيَادةُ طغيانِهِمْ أشدَّ مِنْ تَرْكِهم عَلَى ما هُمْ عَلَيْهِ؛ لِتَزْدَادَ عقوبَتُهم في الآخرة.

### إِضَافَةُ الطُّغيانِ إلى المُنافِقين لبيانِ فظاعتِه:

أُضيف الطُّغيانُ إلى الضَّمير العائدِ على المُنَافِقين في قول اللهِ تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ لِلْإِيمَاءِ إلى تَشْنِيعِ طُغْيَانِهم وتَفْظِيعِه، وأنَّه طغيانٌ غريبٌ اختُصَّ به المنافقون حتَّى صار لا يُعْرَفُ إلَّا بإضافتِهِ إِلَيْهِمْ[2].

(1) سعيد علي، استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 61.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/297.

## ❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### العَمَهُ وَالعَمَى:

قِيلَ: إنَّ العمَى في البَصَرِ، والعمَهَ في الرَّأي[1]، فَهُمَا على هذا مُتَبايِنَانِ.

والأظهر: أنَّ العمَهَ أخصُّ مِن العمَى؛ فالعَمَهُ خاصٌّ بالرَّأي، بمعنى التَّحَيُّر والتَّرَدُّدِ، وأمَّا العمَى فَيكُون في الْبَصَرِ ويكون في الرَّأْيِ[2].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللغُّة، والزَّبيديّ، تاج العروس: (عمه).

(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/69. محمَّد مُحمَّد داود، معجم الفروق الدّلاليَّة في القرآن الكريم، ص: 352.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»